الشـاعر الجـاهلي ووصف القطـاة

ببعديه الفكـري والنفسـي

الدكتور: عبد الرحمان خلدون
جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

abstract
The ignorant poet and the description of sandgrouse 'with its intellectual and psychological dimensions'' the ignorant man realized that the possession and the use of speed can only be in a position it calls. This means that the poet's needs and feelings were behind the bird's depiction in his poetry, so one feels, when following the bird's characteristics, that he is actually following the man's movement and penetrating in his inside. The poet's use of sandgrouse, and making it a principal equivalent for him, ha dits own intellectual and psychological implication, that were imposed by the occasion and the nature of the event.
Key words: poet, ignorant, description, sandgrouse, dimensions, intellect, self.

Resume
L'homme ignorant rendu compte que la possession de la vitesse et de l'utilisation, non seulement en position d'arrêt rendu nécessaire par, et cela signifie que le poète sur leurs besoins et motivations était derrière dessiner l'oiseau dans ses cheveux, de sorte que l'on doit se sentir une caractéristique d'oiseaux de trace, était dans les traces de fait du mouvement humain et pénètre en profondeur. L'utilisation du poète le chat, et faire un équivalent objectif à lui, était ses connotations intellectuelles et psychologiques, a imposé le caractère approprié de l'événement.
Mots-clés: poète, prédicateur, description, scénario, dimensions, pensée, soi.

الملخص
أدرك الإنسـان الجـاهلي أن امتـلاك السرعـة واستخدامهـا، لا يكـون إلا في إيـقافه موقفـا يستدعيـها، وهذا يعني أن الشاعر بحاجاته ودوافعه كان وراء رسم الطير في شعره، حتى ليشعر المرء وهو يتتبع خصائص الطير، كان في الواقع يتتبع حركـة الإنسـان ويتغلغـل في أعمـاقـه.
واستعانة الشاعر بالقطـاة، وجعلهـا معـادل موضـوعي له، كـانت له دلالات فكريـة ونفسيـة، قد فرضتهـا المنـاسبة وطبيـعة الحـدث.
الكلمات المفتاحية: الشاعر، الجاهلي، الوصف، القطاة، الأبعاد، الفكر، النفس.

تمهيد:

القطاة شبيه بالحمام حجما وشكـلا، يؤثـر العيـش في الصـحراء، ويتـخذ أفحـوصه فـي الأرض ويطيـر جمـاعات ويقطع مسافات شاسعة، وبيضه مرقط، جاء في اللسان «القطا ضربان: الجونيّ والكُدريُّ، واحد فيها سواد، والغطاط صغير الحلق قصير الرجلين في ذنبه ريشتان أطول من سائر الذنب، والعطاط منه: ما اسود باطن أجنحته، وطالت أرجله واغبرّت ظهوره»[1]، والمشهـور عنـد الجاهليين القطاة، وسمي بهذا الاسم بسبب صوتــه، لأنه إذا هدل سمع منه ما يشبــه صــوت القاف والطاء، قطا... قطا، يقول الجاحظ «إن القطا مـن الحيوان الذي اشتق له هذا الاسم من صوتـه، لأنهم كانوا يشتقون لسائر الحيوان الذي يصوّت ويصيـح اسم النـــاطق به، إذا قرنــوه في الذكـر إلى الصامت»[2].

والعرب تضرب المثل بالقطاة في الهداية، فيقـال: إنه لأدل من قطـاة، لأنـها ترد المـاء ليــلا مــن الفـلاة البعيـدة والأماكن الوعرة، والتي يضل في الاهتداء إليها الخبراء بالمسالك والدّروب، والشعاب والطرق، فهي تبيض في القفر، وتسقي أولادها من البعد، في الليل والنهار، فتجيء في الليالي المظلمـة وفي حواصلهـا المـاء، فإذا صـارت حيـال أولادها صـاحت:

قطا قطا، فلم تخطئ بلا علم، ولا إشارة، ولا شجرة، وفي المثل: إنه لأصدق من قطاة، ويضرب بها المثل في البكور[3] ويستدل العرب على أماكن القطا، باقتفاء أثره في الأفاحيص التي يفتحصها في الأرض لكي يضع بيضه.

1-زهير بن أبي سلمى ووصف القطاة

وقد تناول القطاة مجموعة من الشعراء، فذكروا صفاتها، ووصفوا عاداتها، فها هو زهير بن أبي سلمى الذي يمتاز بتصوير الكثير من مناظر البيئة العربية الدقيقة، ويرسم العديد من عادات العرب التي لا ترد على خواطر أكثر الشعراء ولعل مصدر هذا أمران: أولهما تجويد شعره، فذلك التجويد يبعث على التأمل الطويل، والتدبر فيما يقول، والآخر طول عمره، واستمداده حكمته من حياته وحياة أمته، فنجده في كافيته التي غرضها قد اتجه إلى بني الصيداء، الذين انتهبوا إبلا وعبدا له، فهيأ صورة القطاة المسالمة شبيها لفرسه، ووفر لها فرصة النجاة بين نبت متشابك وماء استغاثت به، ليومئ إلى أمله في نجاة الإبل والعبد وعودتهما إليه، وليبتعد عن التصريح بتهديد بني الصيداء ومستقبل الصراع معهم، وصورة هذه القطاة بها الكثير من الإشارات الدالة والرسائل المستترة، فنجده يقول[4]:

1-كَأَنَّهَا مِنَ قَطَا الأَجْبَابِ حَانَ لَهَا وِرْدٌ وَأَفْرَدَ عَنْهَا أُخْتَهَا الشَّبَكُ[5]

2-جُونِيَّةٌ كَحَصَاةِ القَسْمِ مَرْتَعُهَا بِالسِّيِّ مَا تُنْبِتُ القَفْعَاءُ وَالحَسَكُ[6]

3-دُونَ السَّمَاءِ وَفَوقَ الأَرْضِ قَدْرُهُمَا عِنْدَ الذُّنَابَى فَلَا فَوْتٌ وَلَا دَرَكُ[7]

4-عِنْدَ الذُّنَابَى لَهَا صَوْتٌ وَأَزْمَلَةٌ يَكَادُ يَخْطَفُهَا طَوْراً وَتَهْتَلِكُ[8]

5-أَهْوَى لَهَا أَسْفَعَ الخَدَّيْنِ مُطَّرِقٌ رِيْشَ القَوَادِمِ لَمْ تُنْصَبْ لَهُ الشَّرَكُ[9]

6-لاَ شَيْءَ أَجْوَدُ مِنْهَا وَهْيَ طَيِّبَةٌ نَفْسًا بِمَا سَوْفَ يُنْجِيهَا وَتَتَّرِكُ[10]

7-حَتَّى إِذَا مَا هَوَتْ كَفُّ الغُلَامِ لَهَا طَارَتْ وَفِي كَفِّهِ مِنْ رِيْشِهَا بِتَكُ[11]

8-ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ إِلَى الوَادِي فَأَلْجَأَهَا مِنْهُ وَقَدْ طَمِعَ الأَظْفَارُ وَالحَنَكُ[12]

9-حَتَّى اسْتَغَاثَتْ بِمَاءٍ لاَ رِشَاءَ لَهُ مِنَ الأَبَاطِحِ فِي حَافَاتِهِ البُرَكُ[13]

10-مُكَلَّلٌ بِأُصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ رِيْحٌ خَرِيقٌ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكُ[14]

11-كَمَا اسْتَغَاثَ بِسَيْءٍ فَزُّ غَيْطَلَةٍ خَافَ العُيُونَ فَلَمْ يُنْظَرْ بِهِ الحَشَكُ[15]

12-فَزَلَّ عَنْهَا وَوَافَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ كَمَنصِبِ العِثْرِ دَمَّى رَأْسَهُ النُّسُكُ[16]

يشبه زهير بن أبي سلمى فرسه القوية بقطاة، فيطيل في وصفها، وهي أطول صورة في القصيدة، مما يدل على جوهرها، وليس كما يبدو أنها محض تصوير وتشبيه لفرسه فحسب، بل اتخذ من وصف فرسه ذريعة للدخول إلى عالم القطاة، فيقول فرسي تلك كأنها من قطا أرض ذات عيون وآبار، فيفد عليها الواردون، فهي منهم حذرة وجلة، ولا سيما وقد قنص أختها شبك الصائد القانص، تلك القطاة قد تميزت عن غيرها أنها جونية الشكل، فهي من أضخم أنواع القطا مستوية الخلق، شديدة قوية، سريعة الطيران، ظهرها أكدر، وباطن جناحيها أسود، وريشها أصفر (جُونِيَّةٌ كَحَصَاةِ القَسْمِ) تعيش في خصب ورغد، تتغذى على البقل والحسك، هذه العيشة الطيبة، جعلتها أشد لها وأسرع لطيرانها (مَرْتَعُهَا، بِالسِّيِّ مَا تُنْبِتُ القَفْعَاءُ وَالحَسَكُ)، فقد توفرت لها أسباب السرعة، إذ هي معقد التشبيه بينها وبين خيل الشاعر، ومما زاد سرعتها تجربتها السابقة مع الموت (أفرد عنها أختها الشبك)، «ففي توفير حالة الصراع بين الحياة والموت، يتجه فيها الشاعر إلى توفير عوامل السرعة، والتصميم على منح طريدته النجاة لتهيئة المناخ الملائم في مواجهة التحدي، طبقا للبواعث النفسية والموضوعية التي تقررها طبيعة الحدث ومعالجته»[17].

والشاعر يظهر مزيد عناية واحتفال بهذه القطاة بوصف شكلها، ليخلص إلى قوله: بأنها لم تكن أي قطاة، فقد سخر لها كل أسباب الراحة، فهي متميزة عن غيرها، وفجأة توالت عليها الأحداث، لكنها صمدت معتمدة على رغبتها الأكيدة في البقاء، فالقضية ليست قضية إضفاء السرعة عليها فحسب، وإلا لاكتفى الشاعر بالبيت الأول!!، ولكن الشاعر هنا يحصر مثل هذه الصورة ليسكنها مستكن سرائره[18].

وذكر الخيل في أبياته، ليبرر ظهور هذه القطاة على الصورة التي وصف وأحكم، حيث يصورها لنا وهي سعيدة بوطنها، متمتعة برغد عيشها، فجأة تنقلب حياتها رأسا على عقب، فبعد أن نجت من الشبك، ابتدرها صقر (أسفع الخدين) أشربت حمرتهما بسواد، من صفاته أنه لم يتعرض لعملية صيد سابقة، فليس له مع الموت تجربة، يبدأ في مطاردة القطاة هذه الأخيرة قد تميزت بأنها طيبة النفس، مطمئنة الفؤاد، عالمة أن جناحيها سيهبان لها النجاة، فهي مجربة واعية، تعرف كيف تتخلص منه بذكائها، واطمئنانها إلى قدرتها على حماية نفسها من هذا الطائر الجارح، إنها واثقة مما تفعل، وقد أكسبتها هذه الثقة أثناء المطاردة مظهرا بدا للشاعر جميلا، لكن الشيء المهم الذي ساهم في نجاتها، ولعب دورا أكبر في إنقاذها هو القدر، الذي كان ييسر للقطاة أشياء تحول بينها وبين الصقر (لاَ شَيْءَ أَجْوَدُ مِنْهَا وَهْيَ طَيِّبَةٌ، نَفْسًا بِمَا سَوْفَ يُنْجِيهَا وَتَتَّرِكُ)، ثم إنها مع هذه الثقة لم تخرج كل ما لديها، فرغبة القطاة بالحياة لم تمل عليها بذل أقصى سرعتها للنجاة من النسر فحسب، ولكنها أيضا حركت فيها كوامن من الذكاء حتى تكيد للنسر وتتفلت منه، «فالصراع الحقيقي ليس بين قوتين جسديتين، ولكنه بين قوتين داخليتين، منها الثقة والثبات، فانتصار القطاة في الواقع هو انتصار الذكاء والثقة بما تخطط له من نجاة»[19]، لقد حلقا في الجو بين السماء والأرض، فلم يغيبا عن الأعين، ولم يقعا على الأرض ولا هي فاتته ولا هو أدركها، قد اقترب من ذيلها، فكاد الصقر يخطفها بمخالبه، فأرسل في نفسها رعبا، أخرجته على شكل صوت مختلط، هذه المناورات العنيفة الحاصلة بينهما؛ فالصقر (أهوى لها) من المرقبة، أي سقط عليها سقوطا عنيفا من عل، ولكنه سقوط لم يأت بنتيجة، وقد ظلّت بالنسبة له (لا فوت ولا درك)، فلم يسبقها، ولم يدركها، تُجدّ في طيرانها، وتبلغ أقصاه، فالأمل قائم مادام هناك نفس، هنا تيقن الصقر أنه لا طاقة له بمطاردتها، فسقط عن مطاردتها مرغما، وترك متابعتها مكرها، وعندما هويت القطاة سقطت في كفّ غلام، فقبض عليها وأمسك بها، فاستجمعت قواها وأفلتت منه، تاركة بعض ريشها في يده (حَتَّى إِذَا مَا هَوَتْ كَفُّ الغُلَامِ لَهَا، طَارَتْ وَفِي كَفِّهِ مِنْ رِيْشِهَا بِتَكُ)، فعاودها الصقر وطاردها لجأت إلى الوادي الذي أنجاها منه، لما فيه من شجر كثيف لتختفي فيه، «زهير هنا يلح على تكالب الأخطار عليها فيصوّرها حال خوفها من عدو (الورد، والشبك)، وفي سبيل هربها منه يفاجئها عدو أعتى (أسفع الخدين)، ثم في سبيل هربها منه تقع بين يدي عدو ثالث (كف الغلام)، ثم لا تفلت إلا وقد سلبها شيئا (في كفّه من ريشها بتك)»[20]، وهو بهذا يجعل نجاتها أمرا عزيزا لا يدرك إلا بعد طول مكابدة، هذه الصورة نرى من خلالها شرور الحياة التي تفزع الآمنين تتكالب عليهم من كل جانب، وكأنه يقول إن من يستحق الحياة لابد أن يصارع الشر، وأن يتحلى بطول النفس؛ لأنه إذا لم يفعل ولم تطل مقاومته واستسلم كان جديرا بالهلاك لا بالحياة.

بوصولها الوادي استطاعت الاختفاء في أغصانه، والاختباء بين جذوعه وأفنانه، بعد أن طمع في القنص، ولم تزل تجتهد في الطيران، حتى استعانت بماء لا رشاء له، لأنه في أبطح مستو يتجمع حول حافاته البرك، ليس له غور، مكلّل بأصول نبات لا ساق لها (حَتَّى اسْتَغَاثَتْ بِمَاءٍ لاَ رِشَاءَ لَهُ)، فأمنت مع طيور الماء على حفافه، ورتعت بالنبت الذي يحيط به واستطاعت بهذا الملاذ أن تهرب من الصقر، ولم ينل منها، «لقد بذل زهير كثيرا من الجهد في اختيار نوع القطاة، فهي جونية، أي أسرع القطا طيرانا، ثم هيأ لها خير مستغاث بين النبت المتشابك والماء، ليضمن لها السلامة الأكيدة»[21] والماء هنا رمز الحياة، والحياة والحفاظ عليها هي شغل الجونية ومعركتها التي تخوض، وكأن الشاعر يقول إن صراعها المرير من أجل الحياة أفضى بها إلى نبع الحياة، ولأن رغبة النجاة ساكنة بداخلها، دفعتها إلى تفجير كل طاقاتها للفرار والانفلات، وقد شبه الشاعر استغاثتها بهذا الماء، كاستغاثة (فزّ غيطلة)، وهو وليد البقرة وقد تلقف ضرع والدته عجلا دون مهل، تقول نداء ثابت العرابي الحارثي «عدم الاطمئنان والفزع والخفة، والختل المرافق للهلاك، وتطيير الفؤاد، كلها معان ذات وشائج حميمة بقصة القطاة، ورباط هذه المعاني الجامع هو الخفة الشديدة، وهي خفة هذا الفزّ وطربه للقم هذا السيء سريعا، وهي خفة القطاة للماء عندما استغاثت به»[22]، وهذا هو التلهف للحياة والتمسك بها، ما يؤكد أن المورد الذي هوت إليه رمز للحياة أو نبع لها، إذ نرى في الصورة: الرضاعة والسيء والأمومة والولادة، كلها رموز لبداية الحياة وتدفقها، وكأن لحظة لجوء القطاة إلى الماء هي لحظة ولادة جديدة لها، لكن أمل الصقر لا زال قائما، طلبت القطاة النجاة فأرادت

الحياة، وهو طلب القطاة، وبذلك نجاته من الموت، وطلب الحياة، هنا مفارقة الحياة والمـوت، «إنهمـــا صورتان متقابلتان لتغليب إرادة الحياة على إرادة الفناء في نفس الشاعر الجاهلي، أو فلنقل إنهما وسيلتان لتطهير الحياة من الشرّ بالشـرّ كما قلنا حينا، وتطهيرها من الشرّ بوسـائل حيـــنا آخـر!»[23]، فالشاعر يرى أن حضور الموت لا يعني تعطيل الحياة، بل إن حضوره يفرض قيمة الحيـاة في الوجدان والعقل، لهذا كان حضـور المـوت عند القطاة باعثا على تشبث أكثر بالحياة، وقد منحها هذا التشبث ولادة جديـــدة فيها نشوة الانتصار على النفس والخصم العنيـــف.

الصقر بشرّه لا زال مصرا على طريدته، يتركها في مكان اختبائها، ويطير إلى مكان مرتفـــع يرقبها منه (فَزَلَّ عَنْهَا وَوَافَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ)، وكأنه منصب الذبائح مما به من دم نتيجة الصيـــد، «هـــذه النظرة الدينية التي صوّر لنا فيهـــا إحدى عاداتهم في عبادتهم، وهي الذبح في شهر رجب للأصنـام تنسكا وتعبدا»[24]، ويبقى الصقر في نهاية مفتوحة، يراقب القطاة وهي مختفية في الماء، ينتظر ويترقب ما يكون منها، وقد انتهى هذا المشهد على صورتين، الأولى: استغاثة القطاة بالـوادي مائه ونباته، وتشبيه ذلك باستغاثة ولد البقرة بحليب أمه، والثانية: نهاية الصقر واستسلامه التي صورها الشاعر بنهاية الشاة المذبوحة في رجب قربانا[25]، وعلى ما خطط زهير، أنهى الصراع بانتصار الضعيف وانهزام القوي، لأن هذه الفكـرة وحدها هي التي تخدم هدفه.

وقد اقترب الشاعر بهذه القطاة من فحوى القصيدة، ففي حالته هذه أدرك أنه لن يظفر بمـــاله إلا بعد طول مكـابدة وطول نفس، فكان واقع الشاعر إبـــراز قوته_على الضعف البادي عليه_أمـام قوة خصمه، وكأنه يوّجه إنذارا لمن اغتصبوا حقه، وهي رسالة تحمل في طياتها تهديدا للحارث، وينتظر ما يكون منه في ردّه، وفعلا بعد هذه القصيدة وعـدم ردّ الحارث على زهير راعيه وإبله، هجاه زهير فردّها عند ذلك، «الشاعر في هذه القصيدة ينذر بأنـه لم يخرج كل ما لديه بعد (ليأتينّك منـّي منطق قذع)، وقد تلت هذه القصيدة أخرى في هجائهم_حسب رواية الديوان_(ديوان زهيـــر ص:301)، حتى انصاع الحارث وتعقـــل ورد عليـــه مـــاله وعبـــده يســـــارا !!»[26].

إذن لوحة (صيد القطاة) تجسيد لانتصار الحياة على الموت، من خلال الصـراع الحـاصل بين القطـاة التي ترمز إلى قوى الخير، وبين العقاب الذي يرمز إلى قوى الشرّ، بطريقة تجعل من هذا الطـائر الصغير المسالم قوّة تتصدى للشّـر وتبطله وتعاقب صاحبه، فهي لا تفوت الصقر فحسب، ولكنّـها تُرهقه وتبدّد قواه، وتتسبب في أن تُدمي آخـر الأمـر رأسه وهي صورة في مجملها فيها حق ينجو ولـو كان ضعيفا، وباطـل يفشل ولو كان قويا، «فالبـاطل عنده خـاسئ في النهـاية حتى لو تمتع بالقوة والكثرة، أما الحق فمنتصر حتى لو كان وحيدا في صراعه، وإذا كان الشاعر ينتصر فلأنه يمثـل الحق المشروع»[27]، وهـذه دلائل رمزية خاصة بالشاعر ومواقفه من قضـايا الحيـاة الكبرى، وبخـاصة قضيـة الصـراع الإنسـاني فضلا عن الكشف عن الحالة النفسية في معالجة موضوع إغـارة بنـي الصيـداء على عبـده الأعـزل وإبـله الآمنـة، فصـور صراعه مع بني الصيداء، حيث اختار القطاة الآمنة معـادلا لإبله وعبده، وجعل الصقر معادلا للأعداء، بيد أنه جعل نهاية الصـــراع نجـــاة القطـــاة من الصـــقر وخروجه من المعركة خائبا، مما يؤكد عودة الإبل والراعي إليه.

2-النابغة الذبياني ووصف القطاة

ويصف النابغة الذبياني فرسه، حيث شبه سرعتها بقطاة، ثم استطـرد في الحديـث عن هذه القطـاة، وقص ما كـان من أمرها وأمر الصقر على عادة أولئك الشعراء في الاستطراد، فنجده يقول[28]:

1-أَومَرَّ كُدْرِيَةٍ حَـذَّاءَ هَيَّـــجَهَـــــا بَرْدُ الشَّرَائِعِ مِن مَـرَّانِ أَوْ شَـــــرَبُ[29]

2-أَهْوَى لَهَا أَمْغَرُ السَّاقَيْنِ مُخْتَضِـــعٌ خُرْطُومُهُ مِنْ دِمَاءِ الطَّيْرِ مُخْتَضِـبُ[30]

3-حَتَّى إِذَا قَبَضَتْ أَظْفَـــارُهُ زَغَبـــاً مِنَ الذُّنَابَى لَهَا أَوْ كَـادَ يَقْتَـــــرِبُ[31]

4-نَحَتْ بِضَرْبٍ كَرَجْعِ العَيْنِ أَبْطَـــؤُهْ تَعْلُو بِجُؤْجُئِهَـا طَـــوْراً وَتَتْقَلِـــبُ[32]

5-تَدْعُو القَطَا بِقَصِيرِ الخَطْمِ لَيْسَ لَهُ أَمَامَ مَنْخَرِهَا رِيـــشٌ وَلاَ زَغَـــــبُ[33]

6-حَذَّاءُ مُدْبِـرَةً سَكَّـــاءُ مُقْبِـــلَةً لِلْمَاءِ فِي النَّحْرِ مِنْهَا نَوْطَةٌ عَجَبُ[34]

7–تَسْقِي أُزَيْغِبَ تَرْوِيهِ مُجَاجَتُهَـــــا وَذَاكَ مِنْ ظِمْئِهَا فِي ظِمْئِهِ شُـرُبُ[35]

8–مُنْهَرِتَ الشِّدْقِ لَمْ تَنْبُـتْ قَوَادِمُـهُ فِي جَانِبِ العَيْنِ مِن تَسْبِيدِهِ زَبَـبُ[36]

تقوم القصة على مطاردة الصقر للقطاة، وعلى رغم توفر الحركة وعنصر التشويــق، إلا أنهـا تخلـو من الصـراع العنيف، سوى ما أشار إليه في البيت الرابـع، وذلك في مشهـد حركـي سريـــع متتابع، يبدأ عرضه بتصوير القطاة، فهي سريعة قد هاجها الطعام والماء البارد، فجدت في طيرانهـا إليهما (هَيَّجَهَا، بَرْدُ الشَّرَائِعِ مِن مَرَّانٍ أَوْ شَـرَبُ)، وهي على هذا الحال، إذ أبصرها صقر مدرب على صيد الطير، ذو قوة جسدية كبيرة (أَهْوَى لَهَا أَمْغَرُ السَّاقَيْنِ مُخْتَضِبٌ)، ثم راح الشـاعر يصور لنا مشهـدا رائعا للصراع، «ألم أقل مرارا: إن الصراع هو قانون الحياة الخالد؟ وإذا لم تكـن راغبا فيه فأنت محمــول عليه اضطرارا»[37]، حيث اختلطت الأصوات واقترب الخطر، فنجد الصقر قـد انقض عليها بأظفـاره، لكن القبضة لم تكن محكمة، فانفلتت من بين براثنه، تاركة بعض ريشها (حَتَّى إِذَا قَبَضَتْ أَظْفَــارُهُ زَغَباً)، وانطلقت مصوتة من شدة ما حل بها من ذعر وخوف، حيث لجأت إلى مكـــان يحميـــها، وبذلك فرضت عليه الملاحقة والمتابعة، في أرض قد لا تكون له بـها خبرة القطاة، فقادته متابعته إلى الخسارة والانتكاس، للثقة المفرطة بالظفر، فقد ملأت جوانحه، لكن بدأت تضمحل وتتلاشـى رويــدا رويدا، ثم بدأ يحل محلها اليأس والاستسلام، يقول يوسف اليوسف «نبتهج أيّما ابتهاج حيـن نراها تنجو سـالمة وقد أوقعت الخسارة الفادحة في المعتـدي، ولذا فإن نجائها هذا يأتي بمثابة انفراج لأزمـــة عواطفنا المتفاعلة بعمق مع الموقف المـأزوم»[38]، فقـــوة الصقر وجبروته، كانت نهايتهما الفشل، أمـــا الضعف الذي تمثله القطاة، فقد كلل بالنجـــاح والفـــوز فالقوي_على قوته_يمكن للضعيـف علـــى ضعفه أن يقهره، لقد استهان الصقر بقوة القطاة فجاءت النتيجة على غير ما أمل وتوقـــع، وكل هـذا ناتج عن حسن التدبير والتوجيه، وكثرة التفكيـر والتخطيـط، إن هذا «الصـراع حتمـي من أجـل البقـــاء فالقطاة كالإنسان تصارع من أجل أن تحتفظ بالحياة، وهي تؤكد في هذا الصـراع حرصهـا علـى عـــدم الاستسـلام، وعلـى المقاومة الذكية، حتى تفلت من المـوت، على الرغم من أنهـا أدخلـت حـربـــا غيـــر متكـافئة»[39]، وقد تـوج الانتصـار بحياتين؛ حياة القطاة وحياة ابنها الذي ينتظـر قدومها، الذي وصـف بضعفه وقلة حيلته، فهو أزغـب لم تنبـت قوادم جنـاحيه بعد، فلا يستطيع النهوض أو الطيران، وقـد ألوى به العطش أو كاد، فراح يفتح شدقه الواسع، وراحت تسقيه أمه مما ادخرته في حوصلتها (تَسْقِي أُزَيْغِبَ تَرْوِيهِ مُجَاجَتُهَا، وَذَاكَ مِنْ ظِمْئِهَا فِي ظِمْئِهِ شُـرُبُ).

إنها صورة جميلة دقيقة رسمها الشاعر، وهي صورة حية مملوءة بالحياة والحركة، فقد تخيّر لهـــا الصحراء، واعتمد في تصويره هذا على شيئين متضادين هما: القتال، والهروب (النجاة)، ما بين الصقر والقطاة، «الصقر في الشعر الجاهلي يوحي بمعنيين مختلفين: أولهما الزعامة القوية التي تفرض الطـــاعة، وهي ضرورية للضبط داخل مجتمع متماسك، وثانيهما البطش الباغي وهو كريه، يجب أن يقـاوم»[40]، إلا أن الشاعر أراد النجاء والخلاص، معملا السرعة كأساس هام من أسس النجاة، لكن لم تكن السرعـــة غرض الشاعر، بل أراد أمرا آخر، كان يريد أن يصور الصراع من أجل البقاء، فهذا الصـقر يريد قنص هذه القطاة، لأن بقاءه مرهون بما يصيد، وهذه القطاة تجدّ في الطيران لأن حياتها وحياة فرخها مرهونتان بنجاتها ولو أنها استسلمت للقوة الباغية (الصقر) لكان خسرانهـا، وقد دل عليـــها الشـاعر برمز الحياة، كما كان تخيره للصقر رمزا للموت، وهكذا كان الموت بجانب الصـقر، بـاعثا للحيـاة الجديـدة للقطـاة، إذن الصورتـان تبرزان الحيـاة الممنـوحة للقطـاة والموت الذي لحق بالصقر أو اقترب منه على قوته وغروره، «إننا نحكم على أن الإنسان الجاهلي كان بحـاجة إلى القـــوة حتـــى ينقـذ نفسه، من المآزق الكثيرة التي كانت توشك أن تقوده إلى الهلاك»[41].

وهنا لا يخفى تعاطف الشاعر مع هذه القطاة وفرخها، فهو يصور القطاة في ضعفها وخوفها وطيرانها، ويتعجب من هذه الحويصلة التي تدخر فيها أسباب الحياة لفرخها (للماء في النحر منها نوطة عجب)، وهو يصور هذه الأمومة الحـانية (تسقى أزيغب ترويـه مجاجتهـــا)، وهـــذه الطفولة الضعيفة المغلوبة على أمرها، فيكاد ينقل إلينا عدوى الإحساس بالشفقة والتعــاطف، «إن الناس يتعاطفون مع الضعيف، لأنهم يحسون فيه معاني الضعف الإنساني، وينفرون من القوي ولو أثـار إعجابهم، لأنهم يحسون أنه يهددهم»[42]، ولعل هذا هو سرّ تعاطف النابغة مع هذه القطاة وفرخها، فهو يرى فيها نفسه وقد

ضعفت، أي أنها معادل شعري للشاعر، في ضعفه وهموم حياته، وهي صورة رمزية شعورية لإحساس الشاعر بالحيرة في هذه الحياة، وما رافقها من مشاعر الضياع التي جعلته يرفع سلاحه في وجه المجهول، فكان صراعه من أجل بقائه، ولذلك كان مشغولا بهذه القضية ومهتما بهـــا، أكثر من انشغاله واهتمامه بسرعة الفرس.

3-المنخل اليشكري ووصف القطاة

وقد ينقل الشاعر الجاهلي صورة القطا إلى ميدان الغزل، فينظر إلى المرأة كأنها طائر مـن صفاته كذا وكذا، فيسقط الأشياء الجميلة الموجودة في هذا الطائر، على هذه المرأة المتغزل بها، فيتخذ من مشية القطاة، أو ملمح من ملامح جمالها أحد المكونات الفنية في الافتتاح بالنسيب، للكشف عن البواعث النفسية التي تحدد أبعاد الحدث، ومن أجمل ما نسب إلى المنخـــل اليشكري، تلك الرائية الراقصة الحركات والكلمات، فنجده يقول[43]:

1-وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الفَتَـــا ةِ الخِدْرَ فِي اليَوْمِ المَطِيـــــرِ

2-الكَاعِبِ الحَسْنَاءَ تـــــرْ فُل فِي الدِّمَقْسِ وَفِي الحَرِيـرِ

3-فَدَفَعْتُهَا، فَتَدَافَعَـــــــتْ مَشْيِ القَطَاةَ إِلَى الغَدِيْـــــــرِ[44]

استعمل المنخل اليشكري ووظف الصور من خلال تشبيهاته واستعاراته، في تصوير مفـــاتـن المرأة وتزيين صورتها والتغزل بمشيتها، وقد جسّد في رسم صورة فتاته الرائعة الجمال من خـلال مقطوعته، فاستعار الشاعر للمرأة من القطا حسن المشي، وكذا التبختر والسير في أناة (مَشْيِ القَطَاةَ إِلَى الغَدِيْــــرِ)، وهذا التصور والإسقاط الحاصل من الشاعر بين الفتاة والقطاة، فيه دلالة واضحة على السعادة والسرور والحبور، وذلك بفرح القطاة لورودها الماء، وفرح الفتـاة لدخــولها الخدر المزركش بالذهب والحرير (تَرْفُل فِي الدِّمَقْسِ وَفِي الحَرِيرِ)، والشاعر هنا أراد من تصويره هذا، هـو طلب السعـادة في هذه الدنيا، لكن علم أن كل فرحـــة زائلة لا تدوم، ولذلك نراه يحافظ على لحظته الآنيـــــة.

4-الشنفرى ووصف القطاة

وفي الشعر الجاهلي كذلك يكثر ذكر القطـا، في معرض الكـلام علـى الورود بعد الظمأ، ولعل أجمل ما في هذا الشعر، لوح دقيق الخطوط رسمته ريشة الشنفرى، حيث يقول[45]:

1-وَتَشْرَبُ أَسَآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَمَا سَرَتْ قَرَباً أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَــلُ[46]

2-هَمَمْتُ وَهَمَّتْ بِالبَرَاحِ وَأَسْدَلَـــتْ وَشَمَّرَ مِنِّي فَــــارِطٌ مُتَمَهِّــلُ[47]

3-فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْــــرِهِ يُنَازِعُهُ مِنْهَا ذَقُونٌ وَحَوْصَـــلُ[48]

4-كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَـــــهُ أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلُ نُــزَّلُ[49]

5-تَوَافِين مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَـــا كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الأَصَارِيمِ مَنْهَلُ[50]

يصور لنا الشاعر أسراب القطا الكدري وقد وردت الغدير، وكيف تشرب الأســار_بواقـي المـاء_، بعدما سـارت إليه قربا، أي طول الليل؛ والقطا هنا تبيت قبيل منابع الماء، إذ لا تطير ليـلا، فتعرس أول الليـل أو آخـره، ثم تباكر المـاء في الصباح الباكر، فإذا وردت المورد للشرب، يسمع لأحشائها اليابسة تصلصل من الظمأ، ويسمع صوت لأضلاعهـا من شـدة اشتياقها للماء وانكبابها عليه، وقد وافق وصولها وصول الشنفرى، ولعلّه أن يكون أظمأ منها، لكنّــه بعـد أن تهيــأ للـورود وكادت شفته تلامس شفة الغدير زجر نفسه، وابتعد عنها ليعطيها فرصة للشرب، وهي عـادة الصعاليك في احترام الحيوان ومؤاخاته، ثم يصور لنا كيف دنت القطا من الماء، وأرسلت فيه مناقيرها حتى غاصت ذقونها وامتلأن حواصلها، وهي تهدل هديلا مبغوما، مختلط الإيقاع، فكأنّما قوافل مـن قبائل مختلفة، أناخت حول الغدير وهي تلغو وتلهو وتشرب، وهذا التصوير الحاصل إنما هو رمز يـدل على بعد الماء عن الناس، فلا يرده إلا قليل من العـابرين، ولذلك يطمئـن له القطا فتشـرب منه وهـو ماء كالورق اللجين، أي ماء غليظ من كثرة ما سقط فيه من ريش القطا الذي يرد عليه، هنا الشـاعر اتخذ من صورة القطا التراثية مجرى استطراديا، ينبئ عن قدرة في التشخيـص والتشبيــه، فيبعـث في طريـق الرحـلة المـوحش الصـامت في الشعر حركة وحيوية، من خلال تشبثه بمشاهد الطير، فقد جعل الشاعر الطير رفيق رحلته المضنيـة ومحطّ نظره، فاحتل

مكانة مرموقة في نفسه، ولذلك رسم صورة فنية متكاملة لإدراكه قدرتها وتأثيرها في ذهن المتلقي، على الرغم من واقعيتها وبساطتها.

5-عبيد بن الأبرص ووصف القطاة

ومن صور تشبيه الإبل بأسراب القطا، التي دفعها العطش إلى طلب الورود، قول الشاعر عبيد بن الأبرص[51]:

1-وَحَنَّتْ قَلُوصِي بَعْدَ وَهْنٍ وَهَاجَهَا مِنَ الشَّوْقِ يَوْماً بِالحِجَازِ وَمَرِيضُ

2-وَكُنَّ كَأَسْرَابِ القَطَا هَاجَ وِرْدَهَا مِنَ الصُّبْحِ فِي يَوْمِ الحرُورِ رَمِيضُ[52]

نلاحظ أن المكان يشكل في هذا التشابه عنصرا معنويا كبيرا، فإذا كانت النوق تحنّ، وهي مجهدة إلى أرض الحجاز فإن القطا تشتاق وهي مرهقة إلى ماء موردها، هذا المورد الذي يرمز إلى الديمومة والاستمرارية والوفرة، وبهذا يتشكل موطن الناقة والقطاة، فموطن الناقة الحجاز، وموطن القطاة الماء، فكلاهما ينشد الراحة والحياة، لا يخفى أن هذا يشعر بقيمة الوطن للإنسان، ومن هنا لا نملّ من ترديد «أن عالم الطير في الشعر الجاهلي هو في الحقيقة عالم الإنسان بما في العالم من علاقات متصارعة أو متوائمة»[53].

خاتمة

إذن القطا هو رمز الهداية، وقد ضربوا به المثل في الاهتداء إلى الأماكن الوعرة، ولهذا غدا القطا مرشدا ودليلا إلى موارد الماء فيها، ورمزا للتفاؤل حين تنقطع السبل بمن ضل في القفار بعد أن ساورته المخاوف، وأيقن بالتهلكة، كما أنهم ضربوا به المثل في البكور، وشبهوا به مشية الصبية الحسناء، ومثّل الشعراء آثار مبارك النوق بأفاحيص القطا، وهي مواضع بارزة في جسم الإبل، تترك أثرا على الأرض، حين بروكها تسمى الثفن؛ «هي الركبة وما مس الأرض من كركرة الجمل وأعضاءه إذا برك، وقيل ما مس الأرض من يديه ورجليه وكركرته»[54]، وهو المكان الذي تسويه طيور القطا بجسمها من الأرض لتبيت فيه، كما استخدم الشعراء القطا رمزا للجلد والصبر والمعرفة والشجاعة حين يقطع قفارا لا ماء فيها ولا عشب.

وقد تطرق شعراء الجاهلية إلى ذكر القطاة بالوصف والتحليل، حيث تناولوا أبعادا خدمت هذا الموضوع، نذكر منها:

أولا: الأبعاد الفكرية

تمثلت في: 1-الصراع المرير من أجل الحياة ومن أجل البقاء، 2-الحياة والموت، 3-التحدي، 4-الانتصار 5-الهلاك، 6-الفناء، 7-القدر، 8-القهر، 9-الديمومة والاستمرارية.

ثانيا: الأبعاد النفسية

تمثلت في: 1-الاستغاثة، 2-القوة، 3-الحذر، 4-السعادة والسرور والحبور، 5-الاطمئنان، 6-الثقة 7-الرعب، 8-الأمل، 9-الخوف والذعر والفزع، 10-الهرب، 11-المكابدة، 12-الأمومة، 13-الضعف، 14-الطمع 15-اليأس، 16-الاستسلام، 17-الطفولة الضعيفة، 18-الشفقة والتعاطف، 19-الإعجاب، 20-الهموم، 21-الحيرة 22-الضياع، 23-التبختر، 24-الاشتياق، 25-الاحترام، 26-اللهو، 27-التفاؤل، 28-الصبر، 29-الشجاعة 30-الحماية، 31-النجاء والخلاص، 32-الأمن.

كل هذه التشبيهات و التصورات الحاصلة، النابعة من الفكر الجاهلي، إنما كانت لتقرير وتعزيز مبدأ القوة والسرعة في حسم الأمور، وكذا التصميم على النجاة في الأمور الحالكات، بل هي في جوهرها غريزة الدفاع عن النفس، هذه الغريزة الخالدة في الكائنات الحية كافة، وبهذا يمثل القطا روح التمسك بالحياة في قلب البادية الرعناء.

الهوامش والإحالات

1- أبو الفضل محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، مادة: كَدَر.

2- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ)، الحيوان، ج5، ص: 286.

3- ينظر: علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2004، ص: 66.

4- الشنتمري الأعلم (ت: 476هـ)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المزني، جمع وترتيب مصححه: محمد بدر الدين أبي فرس النعساني الحلبي، ص: 44-47. وأبو العباس أحمد بن يحي، ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، حققه وقدم له ووضع حواشيه: حنا نصر الحتي، ص: 141-145.

5- الأجباب: مواضع فيها ركايا، واحدها جُبٌّ، وهو كل بئر لم تطو، وإنما هي كما جبت وخرقت، يقال: جببت الشيء إذا قطعته، وورِدٌ أي: قوم وردوا والورد: الماء المورود، والوردة: المصدر، الأصمعي: (حلّأها وردٌ)، أي: منعها، وطردها عن الماء، يقول: نظرتْ إلى الماء عليه ناس كثيرٌ فلم ترده، أفرد عنها أختها الشَّبك، فهو أسرع لها لأنها فزعت، أي أخذت أختها بالشرك ففزعت لذلك، والشبك: حبال الصائد، والمعنى كأن هذه الفرس في خفتها وسرعتها قطاة من قطا الأجباب هذه صفتها، وإنما خصّ قطا الأجباب لأنها لو وردت في نهر لم يكن لها مانع من الورد، كما كان لها عند الأجباب لاجتماع الواردة عليها. نفسه، ص: 141. والشنتمري الأعلم (ت: 476هـ)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المُزني، جمع وترتيب مصححه: محمد بدر الدين أبي فرس النعساني الحلبي، ص: 44.

6- القطا ضربان: الجوّنيُّ والكُدريُّ واحدٌ، فيهما سواد، والغطاط غيره، فالجوني: ما كان في لونه سواد، وهو أشدّ القطا طيرانا، والكُدريُّ: ما كان أكدر الظّهر أسود باطن الجناح مُصفَرّ الحلق، قصير الرِّجلين، في ذنبه ريشتان أطول من سائر الذَّنب، والغطاط منه: ما اسودّ باطن أجنحته، وطالت أرجله واغبرّت ظهوره غُبرة ليست بالشديدة، وعظُمت عيونه كحصاة القسْم: هي الحصاة التي يُقدَّر بها الماء في القدح، يُقْسمُ عليها إذا تصافنُوا والتَّصافُن: مُقاسمة الماء على الحصاة إذا قلّ، والمعنى: إذا قلّ الماء عند المسافرين وضعوها في القدح وصبّوا عليها الماء حتى يغمرها ليقسم بينهم بالسوية وإنما شبّهها بحصاة القسم، لأنها مستوية لا يكون فيها حيْدٌ يُغبنُ بها صاحبه، واسمُ الحصاة المُقْلةُ، لاجتماعها كما يقال مقلة العين، فشبه القطاة بها في شدتها واجتماع خلقها، والحيْدُ: حروف الحصاة، والحسك: ثمر النَّفَلِ (النفل: ضرب من دقيق النبات، وهو من أحرار البقول تنبت متسطّحة، ولها حسك يرعاه القطا) ينحتُّ منه حبٌّ فيؤكل والقفعاء: بقلةٌ من أحرار البقل، والسِّيُّ: ما استوى من الأرض، وقال الأخفش: هي أرض بذات عِرْقٍ يصف أن هذه القطاة في خصب فذاك أشدّ لها وأسرع لطيرانها. نفسه، ص: 44. وأبو العباس أحمد بن يحي، ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى حققه وقدم له ووضع حواشيه: حنا نصر الحتي، ص:141، 142.

7- يقول: لم يُحَلِّقا فيغيبا عن الأعين، ولم يصيرا على الأرض، فهما بين هذين، فلا فوتٌ ولا دركٌ، لا تفوتهُ القطاةُ، أي لم تفته فوتا بعيدا، ولا هو يُدركها فيصطادها، فهي بين الفوت والدرك فذلك أشدُّ لطيرانها. نفسه، ص: 142. والشنتمري الأعلم (ت: 476هـ)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المُزني جمع وترتيب مصححه: محمد بدر الدين أبي فرس النعساني الحلبي، ص: 45.

8- الأزملة: اختلاط الصّوت، ويروى البيت عند عمرو: (يَرْكُضُ عِنْدَ الذُّنَابَى، وَهْيَ جَاهِدَةٌ)، يقول: هو عند ذَنَبِها، أي قاربها الصقر فصار عند ذنبها، وقوله: عند الذنابى لها صوت، أعاد اللفظ توكيدا، يقول هو عند ذنبها فلها صوت من خوفها، ومعنى يخطفها: يأخذها بسرعة، وتهتلك: تُسرعُ، يقال: اهتلك لان، إذا اجتهد وأسرع، يقول قد دنا الصقر منها حتى كاد يأخذها، فهي تهتلك في طيرانها، أي تجتهد فيه وتستخرج أقصاه. نفسه، ص: 45. وأبو العباس أحمد بن يحي، ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، حققه وقدم له ووضع حواشيه: حنا نصر الحتي، ص: 142، 143.

9- أبو عمرو: (أهوى)، الأصمعي: (هوى لها)، وقال: هوى، انقضَّ، وأهوى: أوْمأَ لها، أراد: الصقر أن يأخذها، وقوله: مطَّرِقٌ، أراد: أنّ بعض ريشه على بعضٍ ليس بمنتشرٍ، فهو أعتقٌ وأمتن له، والسّفَعُ: سوادٌ تعلوه حُمرة، ولم تُنصب له الشَّركُ، يعني أنه وحشي، لم يُؤخذ ولم يُذلَّل، فذلك أشدّ له وأثبت لريشه، يعني الصَّقر، والقوادِمُ: العَشْرُ المتقدِّماتُ

ريش مقدم الجناح. نفسه، ص: 142. والشنتمري الأعلم (ت: 476هـ)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المُزني جمع وترتيب مصححه: محمد بدر الدين أبي فرس النعساني الحلبي، ص:45، 46.

10- ويُروى: (لا شيء أسرع)، وأجودُ وأسرع بمعنى، طيّبة نفسا، يريد: أنها واثقة بطيرانها، وهي مع ذلك تتَّرِكُ، أي: تدعُ بعض طيرانها لا تُخرجُ أقصى ما عندها، لثقتها بنفسها في أن الصقر لا يدركها. نفسه، ص:45. وأبو العباس أحمد بن يحي، ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، قدم له ووضع حواشيه: حنا نصر الحتي، ص:142.

11- وصف سرعتها، وشبهها بهذه الحصاة، والبِتك: القِطع، واحدها بِتْكةٌ، يقول: وقعت هذه القطاة بموضع أخطأها الصقر فهوت كف الغلام لها ليأخذها، فأفلتته وفي كفه قطع من ريشها، فجدت في الطيران. نفسه، ص: 142. والشنتمري الأعلم (ت: 476هـ)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المُزني، جمع وترتيب مصححه:محمد بدر الدين أبي فرس النعساني الحلبي، ص:45.

12- استمرت إلى الوادي، فألجأها الوادي منه؛ لأن فيه شجرا فلجأت إليه، والحنك ههنا: المِنقار، والأظفار يعني: مخالبه وروى أبو عمرو (حَتَّى اسْتَمَرَّتْ). نفسه، ص: 45. وأبو العباس أحمد بن يحي، ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، قدم له ووضع حواشيه: حنا نصر الحتي، ص:145.

13- لا رشاء له، أي: هو ظاهر على وجه الأرض، فلا يحتاج إلى رشاء فيسقى به، والرشاء: الحبل، إنه نجْلٌ يجري على وجه الأرض، يقول: لم تزل مجتهدة في طيرانها حتى استغاثت بماء أبطحَ، والأبطح: المنبطح من الأرض، والبُرَكُ: طيرٌ بِيضٌ صغارٌ، وهو الذي يُسمّى الشِّيقَ، والواحدة بُرْكةٌ، غيره: البُرَكُ: طائر يُجمع أبراكا وبُركانا، ويُروى: (البِرَكُ) عن الأصمعي وأبي عبيدة، وهي جمع بِركةٍ، يريد: الحفائرَ. نفسه، ص:143. والشنتمري الأعلم (ت:476هـ) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المُزني، جمع وترتيب مصححه: محمد بدر الدين أبي فرس النعساني الحلبي ص:45، 46.

14- قال الأصمعي: النّجم، النبتُ الذي يُقال له الثِّيلُ، وقال غيره: الماءُ مكلّلٌ بالنّجم، وهو كلُّ شيءٍ من النّبات له ساق ينبُتُ حول الماء كالإكليل ويقال: نجم البقْلُ، إذا طلع، ومنه: نجم قرْنُ الظَّبية إذا طلع، يقول: هو ماء دائم لا ينقطع فالنبت قد كلله وأحاط به، ريح خريق: يقال: هبّتِ الشَّمالُ خريقا، إذا هبّتْ هُبُوبا شديدا، لِضاحي مائه: ما ضحا للشمس من الماء، ضَحِيَ يَضْحى ضَحًى، وضحى يضْحَى: برَزَ للشمسِ، وحُبُكٌ: طرائقُ الماء الواحد: حَبِيكٌ، يقول: إذا مرّت به الريح نسجت الرّيح ذلك الماء، ونَسجُها إيّاه: مَرُّها عليه. نفسه، ص: 46. وأبو العباس أحمد بن يحي ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، قدم له ووضع حواشيه: حنا نصر الحتي، ص: 143، 144.

15- يريد: استغاثت بهذا الماء كما استغاث الفزُّ بالسَّيءِ، وهو اللبن الذي يكون في الضَّرْعِ، قبل نُزول الدِّرّة، ولد البقرة والغيظلةُ: شجرٌ مُلتفٌّ، قال الأصمعي: الذي أظنُّ في الغيطلة أن تكون أُمُّه وضعتْه في شجر ملتفٌ، أو أرضعته في شجر ملتف، وقال أبو عبيدة: الغيطلة البقرة، خاف العيون أي: خاف أن يراه الناس، وقيل معنى العيون: أي خاف أن ينظر إليه الراعي فلا يدعه يشرب، [الحُشوك، وهو] حُشوكُ الدِّرَّةِ، وحُشُوكُها: حفلُها والحَشْكُ ساكنة الشِّينِ: الاجتهادُ والدَّفْعُ باللَّبنِ، احتاج إلى التحريكِ، وأصله السكون، ويقال: حُشَكتِ الشَّاةُ، وأَحشكَتْها أنت. نفسه، ص:144. والشنتمري الأعلم (ت: 476هـ)، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المُزني، جمع وترتيب مصححه: محمد بدر الدين أبي فرس النعساني الحلبي، ص: 46.

16- أبو العلاء: (ثم استمرّ فأوفى رأس مرقبةٍ)، زلّ الصّقر، وأوفى رأس مرقبة (المرقبة: المكان المشرف للمراقبة): سقط على رأس مرقبة، فكأنه لم به من الدم مثلّ ما بالحجر الذي يُعتَرُ عليه، والمَصِبُ: الحجرُ، والعِترُ: الذي يُذبح في رجب ويقال للذَّبيحة: العتيرة، والذِّبْحُ: المذبوح، والذَّبْحُ المصدر، النسك: جمع نَسيكةٍ، وهو ما يُذبحُ عليه، ورأسه: رأس الحجر شبه زهير الصقر بالحجر المدمى إشارة إلى كثرة ما يصيد، فهو مخضوب بدماء الصيد، ولم يرد أن الدم الذي عليه

من القطاة لأنه لم ينلها، ويحتمل أن يشبه سفعة خديه بالدم الجابد على المنصب، لأن الدم إذا يبس أسود. نفسه ص: 46، 47. وأبو العباس أحمد بن يحي، ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، قدم له ووضع حواشيه: حنا نصر الحتي، ص: 144، 145.

17- كامل عبد ربّه حمدان الجبوري، الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام، دار الينابيع دمشق، سورية، ط1، 2010، ص: 99.

18- ينظر: نداء ثابت العرابي الحارثي، علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعة الكبار، شعراء الطبقة الأولى عند ابن سلام (امرؤ القيس زهير بن أبي سلمى، الأعشى الكبير)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر ط1، 2010، ص: 393.

19- عبد القادر الرباعي، الطير وعالمه الحيواني في الشعر الجاهلي، علم الكتب الحديث، كلية اليرموك الأردن، ص: 108.

20- نداء ثابت العرابي الحارثي، علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعة الكبار، شعراء الطبقة الأولى عند ابن سلام (امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، الأعشى الكبير)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر ط1، 2010، ص: 396.

21 كامل عبد ربّه حمدان الجبوري، الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام، ص:100.

22- نداء ثابت العرابي الحارثي، علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعة الكبار، شعراء الطبقة الأولى عند ابن سلام (امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، الأعشى الكبير)، ص: 398.

23- ابراهيم عبد الرحمن محمد، الشعر الجاهلي، قضاياه الفنّية والموضوعية، الشركة المصرية العالمية للنشر_لونجمان القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص: 145.

24- عبد العظيم علي القناوي، الوصف في الشعر العربي، الجزء الأول: الوصف في العصر الجاهلي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الياني الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1949، ج1، ص: 197.

25- ينظر: عبد القادر الرباعي، شاعر السمو زهير بن أبي سلمى، الصورة الفنية في شعره، علم الكتب الحديث، كلية اليرموك، الأردن، ط1، 2006، ص: 173.

26- نداء ثابت العرابي الحارثي، علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعة الكبار، شعراء الطبقة الأولى عند ابن سلام (امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، الأعشى الكبير)، ص: 395.

27- عبد القادر الرباعي، شاعر السمو زهير بن أبي سلمى، الصورة الفنية في شعره، ص: 64.

28- الذبياني النابغة، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985 ص:176.

29- كدرية: قطاة، وحذّاء: خفيفة سريعة قصيرة الذّنب، ويقال: أمْرٌ أحذ، إذا كان سريعا، ومرّان: ماء، يقول: أوتَمُرُّ مر قطاة كُدْرِيَة في لونها، والشّرائع: شرائه المياه، والمواضع التي تورد، يقال: طعام ذو شَرَبة، إذ أكلْته شرَبْت عليه، وكلأ ذو شَرَبة، والشَرَبة: ماء حول الشّجرة. نفسه، ص: 176.

30- أمغر الساقين: صقر أو باز، وأمغرَ: لون ساقيه إلى المُغرة، وذلك في أيام الربيع، وخرطومه: منقاره، وهو منسِره وأنفه، فهو أبدا يكون ملطوخا بدماء الطير، ومختضع: مائل برأسه إلى الأرض. نفسه، ص: 177.

31- الزغب: صغار الريش، الذئابي: ذنب الطائر. وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 1996، ص: 337.

32- نحت: قصدت، ويقال: نحا وانتحى، أي: قصد، إبطاؤها كرجع العين، أي سريعة الطيران، والجؤجؤ: الصدر. الذبياني النابغة، ديوان النابغة الذبياني تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ص: 177.

33- قوله: تدعو القطا؛ يعني أنها تقول: قطا قطا، وقوله: قصير الخطم، يعني منقارها. نفسه، ص:177.

34- حذّاء: خفيفة قصيرة الذّنب، وسكّاء: لا أذن لها، والسّكك في الناس: صغر الأذن، والنّوطة: الحوصلة، يقال: حوصلة وحوصلاء، كما يقال: قوصَرَة وقَوْصَرَّة، كل ذلك قد جاء عن العرب، والنّوطة في غير هذا الموضع: ورم يكون في حلْق البعير. نفسه، ص: 177.

35- أُزيغب، فرخ، والمجاجة: ما مجّت في فيه، قال: والظِّمء: وقت الشّرب، ويقال: زادوا في ظِمئهم يومين والشّرْبُ والشُربُ واحد. نفسه، ص: 177.

36- منهرت: واسع، والتسبيد: حين يطلع الريش بعد حلقه في موضع آخر، ويكون التّشعيث أيضا تسبيدا، ومنه في الحديث: أن ابن عباس _رضي الله عنه_أتى الحَجَر مسبِّدا رأسه، فقبّله، فالتَّسبيد هنا: ترك التدهّن والتّغسّل، والزّبب: كثرة الريش. نفسه، ص: 178.

37- وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الحديث، ص: 313.

38- يوسف اليوسف، بحوث في المعلقات، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2007، ص:83، 84.

39- عبد القادر الرباعي، الطير وعالمه الحيواني في الشعر الجاهلي، ص: 108.

40- المرجع نفسه، ص: 108.

41- المرجع نفسه، ص: 102.

42- وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، ص: 300.

43- أحمد بن محمد الحسن، المرزوقي (ت: 491)، شرح ديوان الحماسة، لأبي تمام، تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، القاهرة، 1951، ص: 229.

44- قوله: فتدافعت، هو مطاوعة دافعت، ومطاوعة دفعت اندفعت، إلا أنه يوضع كلُّ موضع صاحبه، فيقول: هززتها لمساعدتي، وبعثتها لتسعى معي فانبعثت واسمحت وهي تمشي مشي قطاة إذا وقعت على الغدير، ومشيت نحو الماء، وهذه المشية فيما يقال أحسن المشي، لأمنها وسرورها بالورود وعجبها بلخلاء، وانتصب مشي، على أنه مصدر من غير لفظه، لأن معنى تدافعت مشت، والقصد إلى التشبيه لأن المعنى مشت مشية تشبه تلك المشية. نفسه ص: 229.

45- منتهى الطلب من أشعار العرب، جمع: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، تحقيق وشرح: محمد نبيل طرفي المجلد السادس، ص: 404، 405.

46- الأسار: بقية الشراب في قعر الإناء، الواحد سؤر، والقطا: ضرب من الطير، والكدر: جمع أكدر وكدراء، وهو اللون يميل إلى السواد، والقرب: السير إلى الماء وبينك وبينه ليلة، والأحناء: الجوانب، واحدها حنو، وتتصلصل: تصوت عطشا، والمعنى: إني أَرِدُ الماء إذا سايرت القطا في طلبه، وأسبقها إليه لسرعتي فتردُ بعدي، فتشرب سؤري. نفسه ص:404.

47- في الديوان: (وهمّتْ وابتدرْنا)، هممت: عزمت، وهمّت، أي: القطا، يعني أني وإياها قصدنا الورد، إلا أني سبقتها إليه، وأسدلت: أرخت، وأراد كفّت عن العدو، وفارط القوم: المتقدم ليصلح لهم الموضع الذي يقصدون إليه، والمتمهل: من يتأنى في أمره ويأتيه على تؤده. نفسه، ص: 404.

48- في الديوان: (يُبَاشِرهُ منها)، تكبو: تسقط، والعقر: مقام الساقي من الحوض يكون فيه ما يتساقط من الماء عند أخذه من الحوض، ويباشره منها، أي واضعة ذقونها عليه، والذقن: ماتحت طوقها وحلوقها، يقول تسقط إلى قعر الحوض

وتباشره بذقونها وحواصلها لتأخذ فضلة من ماء. نفسه، ص: 404.

49- في الأصل المخطوط: (من سفلى القبائل)، وفي حاشيته: (سَفْرِ القبائل)، وغاها: أصواتها، وحجرتاه: ناحيتاه والأضاميم: جمع إضمامة، وهم القوم ينضم بعضهم إلى بعض في السفر، وسفر، أي: قوم سفر، أي المسافرون يقول: كأن أصوات القطا في جوانب المورد أصوات قوم شتى اجتمع بعضهم لبعض في السفر. نفسه، ص: 404.

50- هذا البيت زاده صاحب ديوانه: بتوافين: تتاممن واجتمعن، وأراد القطا، وشتى: متفرقة، أي: من مواضع متفرقة، والذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشرة، ولا واحد لها من لفظها وجمعها الكثير أذواد، والأصاريم: جمع صِرمة، وهي القطعة من الإبل نحو ثلاثين، والمنهل: مورد الماء، شبه القطا بكثرة الناس في المورد. نفسه، ص: 405.

51- عبيد بن الأبرص، ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1 مصر، 1957، ص: 88، 89.

52- الرميض: الاحتراق من شدة الحرّ. نفسه، ص: 88، 89.

53- عبد القادر الرباعي، الطير وعالمه الحيواني في الشعر الجاهلي، ص: 105.

54- أحمد إبراهيم البوق، ومحمد ظفر الاسلام، الطيور في سوق عكاظ، وانعكاسها عن الشعر، مجلة ثقافية يصدرها نادي الطائف الأدبي الثقافي، العدد الخامس، 2010، ص: 89.